المبدأ 38

عندما تكسب نصراً.... أحكم ربط خوذتك!

المغزى:

يترك النجاح تأثيراً غريباً على العقل البشري عندما يُشعر صاحبه بأنه قوي لا يقهر، ويعتقد أن على الناس أن تهابه لما يتمتع به من تفوق ونجاح، ليصبح بعدها أقل قدرة على التكيف مع الظروف، بينما المطلوب في لحظات الانتصار العظمى وما يعقبها أن يكون الناجح أكثر واقعية وإدراكاً.. بمعنى آخر أن يسيطر على عواطفه، أن يقف لحظة أمام ما أنجزه، يتأمل فيما حققه ويتفحص دور الظروف والحظ والكفاءة في هذا النجاح. صحيح أن الحظ والظروف يلعبان دائماً دوراً في تحقيق الانتصارات ولكن الحظ الجيد أخطر بكثير من الحظ السيئ لأن في الحظ السيئ دروساً ثمينة في الصبر، في إعادة النظر بالإخفاق، في ضرورة الحاجة إلى أن يكون المرء أكثر

obeikandl.com

استعداداً لأسوإ الاحتمالات في المرة التالية، بينما الحظ الجيد يُسكر، يخدّر.

يظن صاحب الحظ الجيد بأن ألمعيته ستمكّنه من العبور بسهولة، وعندما يفعل ثانية ربما لن يصل لأنه أصبح أقل قدرة على التكيف مع الظروف. لهذا فإن لحظة الفوز الكبرى التي يتوقف عندها المرء لها أهمية عملية، فما يأتي في خاتمة المطاف يلتصق بالذهن كعلامة تعجب، وليس هناك وقت للتوقف والانصراف أفضل من الوقت الذي يلي النصر، فإذا تابعت الحركة بعد ذلك فإنك تخاطر بتقليل الأثر والفاعلية بل قد ينتهي الأمر إلى الاندحار، من الأفضل أن تعمل بقاعدة المحققين في القضاء: دائماً توقف مع تسجيل النصر. فعلى امتداد التاريخ تناثرت إمبراطوريات إلى أنقاض بعدما كانت منتصرة نتيجة أن قادتها لم يتعلموا ويدركوا كيف يتوقفون ويعززون مكاسبهم بعد لحظات انتصارهم الكبرى.

المثال

كان «روجر» طالباً متميزاً ليس في حياته المدرسية فحسب - حيث اجتاز امتحانات الشهادة الثانوية بنجاح لافت (6, 97) - وإنما في علاقاته الأسرية الحميمة مع والديه وأشقائه، بعد مرحلة الثانوية قرر روجر الالتحاق وأصدقائه في كلية الهندسة بإحدى الجامعات التي تبعد عن مكان سكنه العائلي أميالاً وساعات، ذات ليلة من

شهر أيلول 1997، أي بعد فترة وجيزة من بداية العام الجامعي كان يكلّم شقيقته عبر الهاتف، ثم أعلمها أنه مضطر لقطع الاتصال لأنه على موعد مع أصحابه (الشلة) لقضاء سهر ممتعة، وما لم تكن تعرفه شقيقته بأنه الاتصال الأخير.

ماذا حدث؟ أثناء تلك الليلة أفرط روجر في الشرب حتى دخل المستشفى بحالة طارئة مغشياً عليه، لأن نسبة الكحول في دمه وصلت إلى (1, 4) أي بزيادة خمس مرات لمن في مثل سنه، أو لحالة من لم يتعود الشرب مطلقاً، بعد أيام فارق روجر الحياة. المقربون منه والذين يعرفونه تفاجأوا مما حصل، من مسألة تصرفاته غير المعتادة له لناحية الشرب والتمتع والسهر فهو شاب كان هادئاً، وديعاً، لطيفاً..

رغم أن بعضهم برر ما حصل بنوع الشلة والأصحاب الذين يصادقهم ويتلاقون أسبوعياً للقيام بأمر ممتع ومغامر في آن، وأنه من المحتمل اندماج روجر بشلته مما رفع من درجة شربه حتى الإفراط غير المسموح لمثل سنه (خاصة عندما يتراهنون على من يشرب أكثر الأقداح ويدخلون لعبة التحدي التي تستهوي الشباب خاصة أمام البنات..) إلا أن هذه الحادثة والتي تتكرر في أكثر من مكان لاحقاً، لا تمنعنا من الإشارة بأن النصر لا يكون فقط في الاجتهاد الدراسي وتخطيط الأعمال والالتحاق بأفضل الجامعات لتأمين أفضل الوظائف، وإنما يكون بضبط الذات أمام الشهوات والمغريات، بجهاد

النفس وترويضها على ما كان سبب النجاح والنصر بالمثابرة الحقة وليس السقوط مغشياً من سكرة الانتشاء بعد كل فوز.

الملخص:

أدرك الظروف الخاصة التي لعبت دوراً بوضع الانتصار، وإيّاك أن تكرر الأعمال نفسها مرة بعد مرة، فالتنوع في الإيقاعات وتغيير المسارات وفق الظروف المتغيرة دعائم سلطة رائدة، الأقوياء بعالمهم لا يوغلون بعيداً إلى الأمام بدافع النشوة الجامحة بالنصر المؤقت، وإنما يخطون خطوة إلى الخلف وينظرون إلى أين هم ذاهبون.

المرادف:

- يأتي الخطر الأعظم في لحظة الانتصار. (نابليون بونابرت)

- من الأفكار الشائعة أن النجاح يفسد الناس إذ يدفعهم إلى التكبر والأنانية والاكتفاء بالذات، لكني أرى العكس فهو في الغالب ينمي فيهم التواضع والتساهل والعطف في حين أن الإخفاق يثير فيهم المرارة والقسوة. (الروائي البريطاني سومرست موم)

- هناك رجالٌ لا يحبون أن يتحلّى أحدهم بكثير من الكمال وفور ظهور ذلك، يودّون التخلص منه كما لو أنه مرض خطير... (بيلي بود)

obeikandl.com